النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

مع ميخائيل نعيمة
في مؤتمر الادباء العرب
بقلم الدكتور جودت الركابي

كان مؤتمر الأدباء العرب الذي انعقد في نهاية الشهر المنصرم في بلودان أكثر من مؤتمر ، لأنه لم يجتمع فيه الأدباء ليقرروا أمراً واضحاً بين المعالم ، بل اجتمعوا ليتحدث الأدباء فيه عما يجول في خواطرهم ، كل بما اختط لنفسه من فلسفة ، وكل بما انتهج لنفسه من أسلوب . وتلك ظاهرة اباركها واحبها لأنها لم تتنكر للأدب وحريته . قد تكون الموضوعات التي حاضر فيها الأدباء قد وضعت لهم وفرضت عليهم ، ولكن هذا الفرض لم يغير شيئاً من رسالة الأدب ، لأن الأدباء في محاضراتهم ومناقشاتهم انما اخلصوا قبل كل شيء لأنفسهم ، وفي هذا الاخلاص عبروا عن تجربتهم الانسانية التي كانت اجتماعية في ذاتيتها ، وذاتية في تطلعها الى المجتمع .

أجل ان الأستاذ ميخائيل نعيمة ، المحاضر الأول في مؤتمرنا ، الذاتي النزعة ، قد عبر في ذاتيته عن انسانية شاملة .. كما اراد الأستاذ بدر شاكر السياب في محاضرته ان يضع الأديب في معركة المجتمع العربي ..

وفي تيار هذين الاتجاهين كانت تدور المناقشات وكانت شديدة في مختلف المحاضرات .

وفي المؤتمر أملان : أمل يمثله شباب الأدباء ولاسيما شباب وفد مصر ، وهو أن الأدب يجب ان يكون صدى لواقعنا وخادماً لشعبنا المتحرر الذي ينفض عنه غبار الرجعية ويتطلع بل يعمل في سبيل الوثبة العربية .. ولذا كان وفد مصر وبعض اعضاء وفد العراق وبعض اعضاء وفد سورية ووفد لبنان ينظرون هذه النظرة ويأملون ان تكون الكلمات التي القيت منبجسة من هذا الواقع ، عاملة في سبيل القضية العربية وكرامتها ، دون ان تدغدغ ذاتية الفرد في حلم عميق ، او ان تحدق في جمال حالم بعيد عن ضوضاء هذا العالم الذي نصطرع فيه قوى الشر ...

ومن هنا يطل الأمل الثاني : أمل بعض الأدباء الذين يعملون في صومعة الفن ويرون أن هذه الصومعة الفنية انما تخدم المجتمع في تكوين افراد يشعرون بقيمة الخير ، وان الفن عندما يخدم الفن انما يرسم بريشة حساسة المدينة الفاضلة يتناغم فيها الخير مع قيم الحق والجمال .

وهذان الأملان بقيا حتى نهاية المؤتمر يصطرعان . وفي اصطراعهما هذا عبرا عن شعور واحد : هو أن الأديب سواء اكان ذاتياً ام اجتماعياً انما يعبر في ذاتيته وفي اجتماعيته عن رسالته نحو امته التي ترغب ان تعيش حرة كريمة عزيزة في ظل انسانية يسودها العدل ، فلا يعتدي فيها باغ ولا تشوه فيها معالم الجمال او تداس فيها كرامة الحق .

ولما كانت هذه القيم يدوسها المستعمرون في بلادنا العربية ، كان واجب الأديب العربي عظيماً ومسؤوليته خطيرة ، وكان عليه الا يكون في معزل عن شعبه وعن قضية امته التي هي قضية الانسانية جمعاء ، مطعونة في اقدس صفاتها الا وهي : الحرية .

بمثل هذه النتيجة خرج مؤتمرنا الذي كان ظاهرة قومية رائعة

ويطل امامي في هذا المؤتمر الذي عشته اياماً سبعة ، وجه اديب انساني ، كان في محاضرته قمة شامخة من قمم الأدب هو الأستاذ ميخائيل نعيمة . لاأحب ان ابين دوره في هذا الصراع ، بل لعلكم عرفتم هذا الدور ، بعد أن قلت لكم انه ذاتي وصوفي وانساني ، وانه ، لهذا كله ، يريد لهذا الانسان العربي حتمه في ان يعيش في وطنه حراً يكتب في سفر الانسانية لوحاته التي بشر بها بكل ما يملك من قوى الروح ، وبكل ما اوحت به له قدسيات الأديان ، وبكل ما الهمته نبضات القلب الصافي ونسمات الجمال المجرد من حب للخير وتوق الى التسامح وشوق الى الأمان . هذا الأديب ، بكل ما في الأدب من معنى جديد ، كان يغدو ويروح في أبهاء فندق بلودان في صمت وتواضع ، كان الأدباء يتبعون خطواته ويتحلقون حوله ، ولكنه كان يصغي لهم منهم ويكلم من يرن في اقواله نغم الاخلاص ، ولذلك كان ينفر في استحياء ممن علت قسماتهم عنجهية الجهل ، أو بدت على حركاتهم عامية الوظيفة ..

وكنت اطل احياناً عند الفجر من نافذة غرفتي فأراه في باحة الفندق او على هضبته الممتدة يروح ويغدو وكنت اقول انه مع الطبيعة يعيش ومن الطبيعة يستوحي براءة صوره وطهارة فكره .. وليس عجيباً منه هذا فهو ابن هذه الرابية نفسها التي تمتد فتسمى في بقعة عربية أخرى لبنان وتسمى في احد مرتفعاتها «بسكنتا» ! وتحدثت معه عن الأدب وعن الفن ، فكان دائماً يعيد اجوبته ولكنها تعود دائماً الى هذه النفس ذاتها التي براها خلاصة العالم ونتيجة لعناصره المختلفة . ألم يقل : من يدري ان هذه التفاحة التي نأكلها تحمل في ذاتها اسرار الكون !

وفي اليوم الأول من افتتاح المؤتمر ، اضطرب القائمون على امره .. ماذا ؟ لم يحضر المحاضر الذي كان مقرراً أن يلقي في هذا اليوم محاضرته . والتفتوا الى ميخائيل نعيمة ، يطلبون منه الانقاذ . فقال : لا بأس ، سأقدم موعد محاضرتي اذا كان هذا يريحكم فأنا متهيء للكلام .. وتكلم فعلا في اليوم الأول ، وكانت محاضرته اولى محاضرات المؤتمر وبقيت الأولى ! ..

لقد كان عنوان محاضرته : « الأديب والناقد » .. ولقد تكلم اديباً حقاً ، وتكلم ناقداً حقاً ، وتكلم مفكراً حقاً .. ولا أحب هنا ان اعرض لتحليل هذه المحاضرة فهذا يعوزه حديث طويل ، وليس هذا قصدي .. ولكنني اكتفي بلقطات من جمله هي وحدها كافية بما فيها من اشعاع لتضيء الظلمة ، وترسم الفكرة ، ثم لتوحي بهذه الأصالة التي ينبعث بها اسلوب نعيمه وتفكيره .

لقد بدأ بهذا المطلع فقال : « لو شئت ان احدد النقد بكلمات ثلاث لقلت انه عمل الحياة الدائم » وبهذا الايجاز حدد النقد كما يراه ثم لم يشتت تفكيره في غير ما يراه ويعتقد بل بقي مخلصاً لتفكيره واصالته الى نهاية المحاضرة .

فقد قال : ان الكاتب والناقد كليهما يعملان بدافع من القلق والشوق . « فالكاتب في ما يكتب انما يعبر عن قلق تثيره فيه حواسه الخارجية والباطنية من اوضاع بعينها وعن شوق الى التخلص من ذلك القلق . ويأتي الناقد ليعبر عن القلق الذي يثيره فيه عمل الكاتب وعن شوقه الى الانعتاق من ذلك القلق » .

وقال : ان التنويع الدائم في ما نقول ونكتب يعود الى تفاوتنا في القلق والشوق حتى ولو وضعتنا الحياة في عين الظروف والأحوال .

وقال ايضاً : ليس علينا ان نستقصي الدوافع التي تدفع الكاتب الى الكتابة ،

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ولا ان ندينه لأنه كتب ، ولنا اذا شئنا ان نقرأ ما كتب ، فاذا وجدنا فيه قلقاً يشبه بعض قلقنا ، وشوقاً يضارع بعض شوقنا ، ثم وجدنا انه يعبر عن ذلك القلق او الشوق تعبيراً نصدقه ونطمئن اليه ، شعرنا بشراكة الحياة بيننا وبينه وباركنا انتاجه .

وهكذا نرى ان محاضرنا قد فهم سر النقد وغاص على سر جمال الأثر الأدبي . ولكنه كان يعترف بأن هناك اناساً لا يفهمون ما يقرأون او كل ما يقرأون ، ولذلك يمرون باللؤلؤة الفريدة وكأنهم يمرون بأكرة من زجاج ، ولمثل هؤلاء قام النقد والناقدون .

ثم اخذ المحاضر نقد الحياة ونقد الناقدين فوجد بينهما فرقاً شاسعاً فرأى أن الحياة تنقد ذاتها بذاتها . ورأى ايضاً ان الناقد الذي يتصدى لنقد أثر ادبي عليه ان يكون عارفاً للحق مميزاً للخير محيطاً بسائر صفات الجمال ، ولكن هذا الناقد الذي يريده لا وجود له على الاطلاق لأننا كما قال الأستاذ نعيمة في عالم النسبة .

ثم يتحدث المحاضر عن الأدباء الكبار فيرى انهم هم الذين يمهدون الطريق للنقاد الكبار ولا يرى العكس . اذ ان العبقرية الخلقة — كما يقول — تشق طريقها بقدرتها لا بما يقوله فيها مادح او قادح . فالنقد لا يستطيع خلق العباقرة . وينتهي المحاضر الى هذه العبارة الفذة فيقول :

« حيثما كثرت القمم الشامخة قلت الدهشة للتلال . وحيثما كانت الأنهار الكبيرة قلت قيمة السواقي . اما حيث لا قمم شامخة ولا انهار كبيرة فالكثبان والسواقي تبدو كما لو كانت ابدع آيات الله في خلقه .. فلا عجب ان يكون نقدنا حتى اليوم في مستوى الكثبان والسواقي ، ثم يكون لنا في كل يوم كاتب كبير وشاعر عظيم ! »

هذا هو الأستاذ نعيمة في نظرته الى الأديب وهي نظرة تحل الأديب المقام الأسمى بينما تجعل الناقد في مرتبة دون مرتبته . والمحاضر يرغب — وهو على حق — الا نبالغ في قيمة الناقد ونجعله الدعامة التي لا يقوم الأدب الا بها ، فنحن نستطيع — كما يقول — ان نؤلف الروايات والمسرحيات وننظم القصائد ونحبر المقالات دون الحاجة الى ناقد بل نترك تقدير ذلك الى القارئ وللزمان فان اخطأ القارئ فلن يخطىء الزمان .

اما علاقة الكاتب بالناقد ، فيراها على الاجمال علاقة قلق وحذر وحرب ويتمنى ان تكون علاقة اطمئنان وثقة وسلام . ويرى ان الكاتب الذي يعرف قيمة ما يكتب ، عليه الا يزعجه ذم ناقد ولا يستخفه مدح قارئ ، وعلى الأخص اذا احسن نقد نفسه ، فناقد نفسه في غنى عن نقد الناس ، وهو يطالع في ذلك الحياة التي لا تنفك تحاسب نفسه في كل طرفة عين ، فهي الناقد الأكبر والمبدع الأعظم .

وبعد ان يبين المحاضر اختلاف مقاييسنا في النقد عن مقاييس الحياة ، وان أحكامنا تبقى مبتورة لأنها صادرة عن بشر ما اكتملت بعد معرفتهم للناس والأشياء ، وان الأدب يستحيل ان يكون ادب عباقرة لاغير ، بل لابد مع النسور من خنافس ، يرى ان من الأفضل للناقد ان يصرف مواهبه في الانتاج وان يصرف همه بنقد ما ينتج بدلا من الاهتمام بنقد الغير .

ويطلب الأستاذ نعيمة في ختام محاضرته : « ان يكون همنا الأول والأخير ان ننطق بالحق كما نفهم الحق ، وان نعمل الخير كما نفهم الخير ، وان نخدم الجمال كما نفهم الجمال ، ثم ان نترك للغير مثيل ما نترك لأنفسنا من الحرية في قول ما يرونه حقاً وخيراً وجمالا . والحياة كفيلة بغربلة ما نقول ونفعل . فلها وحدها القول الفصل والحكم الأخير » .

وهكذا ينهي الأستاذ نعيمة محاضرته بعد ان بعث في نفوسنا طمأنينة الحق ورعشة الجمال .. ثم اذا به يقف ليناقش المناقشين ويرد على المنتقدين فيبدو طوداً شامخاً لا تهزه الأعاصير وتبدو محاضرته لؤلؤة المؤتمر ودرته الغالية .

وتلت الأيام .. وعاد محاضرنا الى نزهاته الصباحية في الطبيعة التي احبها ، وعاد الى حلقات اخوانه وسماره ، وتابع صفوة الأدباء اصغاءهم الى حديثه العذب وصوته الهادئ .

كان عليه ان يبقى الى اليوم الأخير من المؤتمر ، ولكنه لم يفعل . وبينما كان الناس في النندق « يخرجون » محاضرة الختام التي كان على الدكتور طه حسين ان يلقيها ، كانت تقف على باب النندق سيارة لتقل الأديب الكبير ميخائيل نعيمة الى بيروت ، وكنت انا وصديقي الشاعر في وداعه ، لقد همس في اعيننا منظره ما كان يعتور نفسه من قلق وشوق عندما اخذت مظاهر هذه الاستعدادات تخدش حساسيته ، ولذا اراد ان يعود مسرعاً الى هذا القلق وهذا الشوق يناجيهما ويكتب للخلود آثار الخلود .

دمشق

جودت الركابي

لجنة التأليف المدرسي

تقدم افضل الكتب التوجيهية والتربوية

المروج : ستة اجزاء في القراءة العربية
كيف اكتب : اربعة اجزاء في الانشاء العربي
الجديد في دروس الحساب : خمسة اجزاء
حسابي : جزءان للاطفال
الجديد في دروس الاشياء : اربعة اجزاء
الجديد في قواعد اللغة العربية : اربعة اجزاء
الجديد في الخط العربي : خمسة دفاتر
التعريف في الادب العربي : جزءان للمدارس الثانوية
J'apprends le Français
ثلاثة اجزاء في القراءة الفرنسية

اطلبها من دار المكشوف ، ودار بيروت

ودار العلم للملايين ، ومكتبة انطوان ، ومكتبة لبنان

النشاط الثقافي في الوطن العربي

معرض الفنان رفيق شرف

عاد الفنان رفيق شرف من اسبانيا حيث قضى عاماً دراسياً في اكاديمية مدريد. وقد اقام اخيراً معرضاً للوحاته في مسقط رأسه بعلبك اختلف اليه عدد كبير من هواة الفن ولاسيما من الأجانب الذين كانوا يحضرون مهرجانات بعلبك .

وقد اتى رفيق شرف بعناصر جديدة في فنه . فبعد ان كانت الالوان في رسومه السابقة كئيبة قاتمة ، اذا بها اليوم باسمة مشرقة ، تكثر فيها الألوان الزرقاء مطلية بشعاع من أمل وابتسامة من نور فيها خيوط الشمس الباردة .

ولا تخلو لوحة من لوحات شرف من اللون الأحمر الذي يعبر عن الشهوة القلقة ، ولكن هذه الشهوة قليلة الدفء بما يرافق اللون الأحمر من بهوت يرتمي بين الأزرق والأخضر .

اما مخلوقاته البشرية ، فان فيها آلاناً دماً يرتعش في شرايين بنفسجية باردة تلتقي وتلتف حول عضلات متهدلة يعلو جلدتها غشاء فيه اصفرار وشحوب . وحول هذه المخلوقات البشرية لون ربيع حزين مع بصيص من نور . اما المناظر الأخرى ، والزهور والاشجار والبيوت فقد هدأت فيها ريشته واتسعت خطاها . فأصبح لديه (توش) جديد اكثر تمدداً من قبل .

وقد رأينا في هذا المعرض ثلاث لوحات جديدة كل الجدة علينا ، ولعلها كذلك على الفنان نفسه من حيث الطابع والتكوين . من هذه اللوحات « السمكة الحمراء والرجل الازرق » وهي غريبة عن جونا. ومن اروع لوحاته (عينان

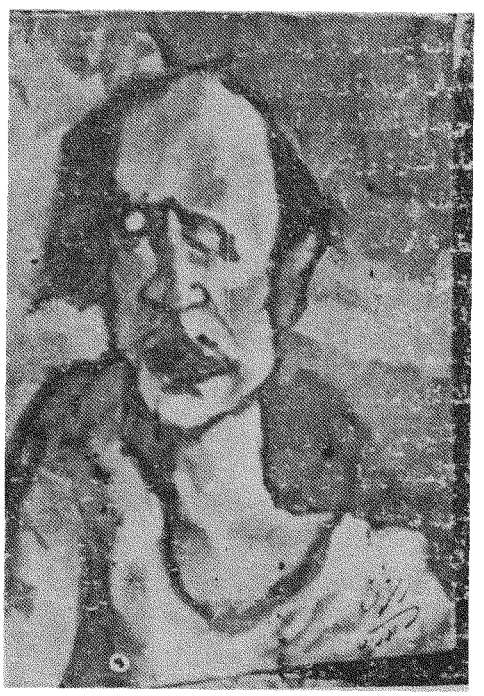

وجـــه ...

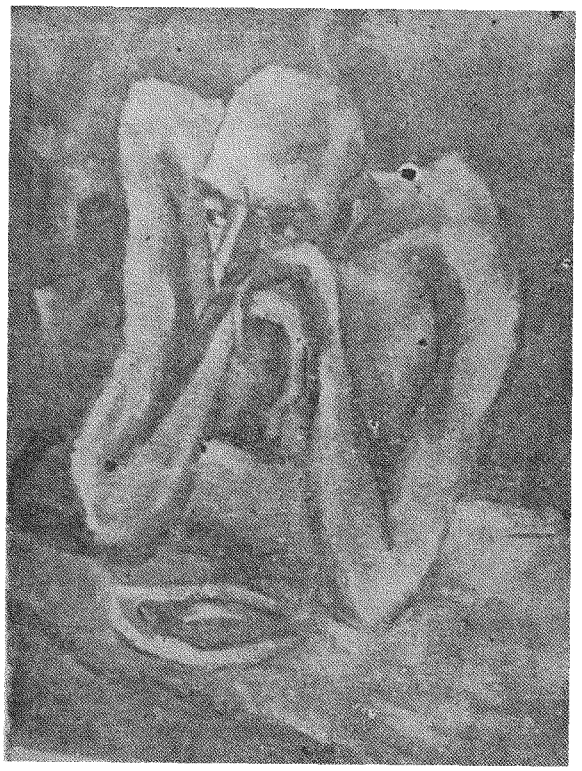

عينان وجسد ...

وجسد) و(مشكلة) . وفي هذه الأخيرة ثقة وعمق وقوة وصدق واستمرار في التعبير الكامل قلما يوجد في غيرها . واما لوحة (وجه) فألوانها موفقة ومنسجمة جداً ، وعلى السحنة ينسكب لون الشرق ، بسمرته وبشرته الجذابة ، وطابع التهويل يحتل معظم اجزاء اللوحة من الشعر حتى العينين وعضلات الوجه والفم .

وفي المعرض حوالي ثلاثين لوحة جديدة من اسبانيا وكلها تدل على ان هذا الفنان يثبت اقدامه ويدفع فنه الى الاكتمال . وعساه ، وقد عاد الى الوطن ، يعود الى الموضوعات القومية التي كان يعالجها بنجاح في انتاجه السابق .

ناظم ايراني

العـــراق

جامعة بغداد الجديدة

اقر مجلس الأمة مؤخراً لائحة قانون جامعة بغداد ، واستصدرت الارادة الملكية بالقانون ، وبهذا يصبح قانون الجامعة حقيقة ماثلة بعد ان كان فكرة ذهبية تساور عقول المفكرين والمصلحين منذ اكثر من ربع قرن مضى .

وقد كان الملك المؤسس فيصل الاول – طيب الله ثراه – اول مفكر في بناء

النشاط الثقافي في الوطن العربي

صرح الجامعة على الاسس العلمية والفنية واول قائل بان الجامعة « حجر الزاوية في تدعيم الكيان الوطني ، وارسائه على القواعد العصرية الراسخة .. وكان من نتائج حرص فيصل الكبير على تحقيق فكرة الجامعة تأسيس جامعة «آل البيت » على عهده واحتواء مناهجها على شعبة الالهيات .. ولكن قلة ذوى الكفاءات من الطلاب ، وضعف الامكانيات العلمية يومذاك جعلا الجامعة لا تعيش الا اعواماً قليلة .

وقبل ان نتحدث عن قانون جامعة بغداد بشكله النهائي نريد ان نستعرض بعض المحاولات الجدية التي سبقت تشريع القانون وبعض المبادئ الاساسية التي انطوى عليها ، لقد كان التصميم الاول ، او المشروع الاول لجامعة بغداد ، هو المشروع الذي وضعته لجنة « هملى » سنة ١٩٤٣ .

اما المشروع الثاني لجامعة بغداد ، فهو المشروع الذي وضعه الخبيران الانكليزيان السر (تشارلس جي . دارون) والدكتور (ارثر دى مورغان) اللذان استقدمتهما الحكومة العراقية سنة ١٩٤٧ من انكلترا لدراسة مشروع الجامعة .

لقد جاء هذان الخبيران الى العراق واتصلا باقطاب التربية والتعليم ورجال الفكر في العراق وقاما بدراسات عميقة شاملة في الوية العراق ووقفا على حاجات البلاد المختلفة ، ومشاكلها الآنية والمزمنة ، والتيارات الاجتماعية التي تنصب على المواطنين .. وهكذا وضعا تقريرهما الضافي عن مشروع الجامعة بعد ان اخذا ببعض المبادئ والاسس التي تضمنها مشروع « هملى » الذي المعنا اليه .

لقد نوه تقرير (دارون – مورغان) بالاشواط البعيدة التي قطعها العراق في الخمس والعشرين سنة الاخيرة في ميادين الزراعة والصناعة والتعليم والصحة والمواصلات والخدمات العامة . وجاء في التقرير المذكور ان امام العراق اعمالا كباراً لابد من الاضطلاع بها ، ومسؤوليات جساماً لابد من تحملها . بيد ان هذه الاعباء والمسؤوليات والاعمال الجسام لا ينهض بها غير الاكفاء من الرجال والنساء الذين يتصفون باسمى المزايا الفكرية والخلقية .. ومن هنا تبرز امامنا الحاجة القصوى لهذا النوع الممتاز من الجنسين ومن هنا تتجسم امامنا وظيفة الجامعة التقليدية ، الا وهي العمل على تربية وخلق اولئك الرجال والنساء .. ومن هنا كذلك ندرك خطورة التربية والاعداد العالي الجامعي في حياة الأمة ودفعها الى حيث معارج النهضة والارتقاء في كافة المناحي بوجه عام .

وانطوى التقرير – اي تقرير دارون – مورغان – من الناحية الثانية على صفحة اساسية في الاختبار الزراعي والصناعي والهندسي وشكوى العراق من قلة الرجال والنساء الذين توفروا على هذا النوع من التعليم المهني . وتلك ظاهرة بارزة تتصل اتصالا وثيقاً بمشاكل البلاد الكبرى بصورة عامة ، وبمشكلة تأسيس جامعة بغداد بصورة خاصة .. ويشفق الخبيران كثيراً من تأسيس الكليات في الجامعة المنتظرة لاجل تدريس الموضوعات المهنية ، وينصحان بضرورة النظر منذ البداية في انشاء نظام خاص للتعليم الزراعي والصناعي ، اي بتأسيس معاهد يراعى فيها ان تكون عملية وفنية ، وذلك لسد حاجات البلاد بهذا النوع من المتخرجين .

اما اولئك الذين يتخرجون في المعاهد المهنية ويكون لهم الاستعداد الكافي لمواصلة الدراسة في الجامعة فانهم يجدون امامهم الطريق معبداً الى الجامعة .

وقد عالج تقرير (دارون – مورغان) مسألة التوسع في الجامعة بحيث يجب ان يعتنى كثيراً وقبل كل شيء بامر السرعة التي يتهيأ فيها للجامعة النمو والتطور المطردان . ولا يتأتى هذا الا بمراعاة اعتبارين اساسيين :

١ – حاجة البلاد الى الافراد الذين يتعين ان تمتد دراستهم الى الشوط الذي يستلزم التعليم الجامعي .

٢ – الوسائل التي تضمن الضبط الدقيق لدخول الطلاب الى الجامعة . وهذا ضروري جداً لان الاخفاق في المحافظة على مستوى القبول في الجامعة لن يقتصر ضرره على تخريج عدد كبير جداً يضاف الى ذوى الثقافة الفكرية الذين فشلوا في الحياة بل يتعداه الى الهبوط بالدراسة الجامعية ، والى الحط من قيمة الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعة ايضاً .

اما قانون جامعة بغداد فان اهم المبادئ الاساسية التي بني عليها هي :

١ – مبدأ استقلال الجامعة في ادارة شؤونها ، غير انه جعل وزير المعارف هو الممثل لها في مجلس الوزراء ومجلس الأمة .. وقد اقرت هذا المبدأ لجنة « هملى » اذ ارتأت « ان تكون الجامعة هيئة مستقلة ما امكن ذلك حيث ان التجربة قد برهنت على ان اعمال الابتكار لا تزدهر الا اذا احاطها جو معقول من الحرية » كما ان لجنة « شارلس – دارون » هي الاخرى قد وضعت الضمانات الكافية لاستقلال الجامعة .

٢ – مبدأ جعل اللغة العربية هي اللغة الرئيسية . وقد اتفق الخبراء الاجانب الذين استشيروا في هذه الناحية على ان اللغة العربية باعتبارها لغة البلاد الاصلية الرسمية يجب ان يكون لها المقام الاول في السيادة ، ويجب ان تكون « القلب النابض » لكلية الآداب بصورة خاصة .

واذا ما اخترنا لغة اجنبية واحدة الى جانب اللغة العربية فمن الأفضل في رأي دارون ومورغان وهملى – ان تكون الانكليزية هي اللغة المختارة .

٣ – مبدأ ضمان الاساتذة من ناحية بقائهم في مناصبهم وتوفير وسائل المعيشة والرفاه لهم . وهذا اساسي هام يؤدي اهماله الى عزوف الاساتذة الاذكياء عن قبول مناصب التدريس في الجامعة ، كما يشجع الاساتذة الضعفاء على التهالك والتهافت ، مما يضر بالجامعة ضرراً بليغاً .

« العلوم »

تتفرد بنشر النصوص الكاملة للمحاضرات التي القيت في مؤتمر المجامع العلمية الأخير بدمشق بأقلام الاساتذة والدكاترة طه حسين – منصور فهمي – مصطفى جواد – احمد حسن الزيات – جميل صليبا – منير العجلاني وكلها تدور حول العربية وموقفها من الحياة ، وحول أبرز المشكلات التي تعانيها والطريق الى علاجها ...

صدر اليوم

النشاط الثقافي في الوطن العربي

المغرب العربي

تونس الادبية

لمراسل (الآداب) محمد بلحسن

كان للعهد الجديد الذي بدأت تنعم به تونس إثر الفوز الذي احرزته في ميدان الحرية والسياسة شأن في كل الاوساط العاملة التي استردت نشاطها من جديد بعد ان زالت العوائق والظروف القاسية التي مرت بتونس وعاقت الجميع عن العمل . واستأنفت الجهود لخوض المعركة السلبية بعد النجاح المظفر في المعركة الايجابية والكفاح السلبي السياسي . واندفعت جماهير الشعب ورجاله لبناء الأسس السليمة للكيان التونسي العربي سواء في الحقل الادبي او الأجتماعي او الأقتصادي ، وقد وضع جميع قواه وامكانياته للنجاح بعد ان آمن ان هذا الكفاح السلبي جزء من المعركة العربية الحالية .. معركة المصير المشترك .

* * *

الاستاذ البشير العريبي من افذاذ الادب التونسي الحديث، جمع بين الكتابة والشعر وهو الفائز في مسابقة النشيد الوطني الليبي وعضو اسرة نادي القلم وقد سألناه عن :

س – ماهي مراحل النهضة الأدبية التونسية، ماضيها وحاضرها ؟

ج – مراحل النهضة الأدبية التونسية مرتبطة الى حد بعيد بمراحل النهضة الشرقية على العموم وبالتطورات السياسية ومستوى الثقافة في البلد على الخصوص. اما ارتباطها بالنهضة الشرقية فلأن التونسيين لم يكونوا يوماً ينفكون عن اخوانهم في الشرق في نزوعهم اليهم واعتدادهم بأخوتهم والتأثر بهم والعمل للارتباط معهم، فهم لا يزالون يتبعون خطوات الشرقيين ومراحل النهضة الشرقية بعناية .

وا حب ان لا يفهم ابداً ان النهضة التونسية – وخاصة في ماضيها القريب – كانت عالة على النهضات التي قامت في الشرق .. احب ان لا يفهم انها كانت آخذة لا معطية، ومتأثرة لا مؤثرة، فقد كانت تونس – كما لا تزال – واسطة بين المغرب والمشرق، من جهة، ففيها تجد امتداداً للنهضة الشرقية الى المغرب واشعاعاً ينعكس منها على اخوتها بلاد المغرب العربي لكي يربط عجلتهم بعجلة اخوانهم الشرقيين . واذا نهض الشرق على اثر حركة جمال الدين ومحمد عبده تمخض جامع الزيتونة – وهو ضريع الأزهر بمصر – عن ميلاد رجل من افذاذ رجال العروبة والاسلام وهو المرحوم عبد الحميد بن باديس الذي بث نواة النهضة في الجزائر الشقيقة المكافحة وأنشأ فيها اجيالا من الكتاب والشعراء والخطباء تفخر بهم العروبة والمغرب الكبير .

ومن جهة اخرى فان تونس لم تكن امتداداً لنهضة الشرق وحسب او مزودة للمغرب فقط، بل كانت تنشىء الرجال لنفسها وتوجه ببعضهم الى الشرق اختياراً مرة واضطراراً مرة اخرى .. فمن رجالات النهضة التونسية والادبية منها على التخصيص خير الدين باشا والبشير صفي ومحمد علي باش حانبه وعبد العزيز الثعالبي .. وغيرهم كثير ممن حملوا اقلامهم ليبشروا قومهم بالمستقبل الزاهر اذا هم عملوا له ويبصروهم بمواطن الزلل في مسالك العصر الذي عاشوه، ولكنهم لم يلبثوا حتى تلقوا ضربات من ايدي مناوئيهم – وهم قليل – أو من ايدي الدخيل اذ كان جلهم يعيش في عهد الاحتلال الفرنسي ، فهؤلاء الرجال الذين كانوا يمثلون النهضة السياسية والاجتماعية في الماضي القريب كانوا – كمعاصريهم عبده وامثاله – كرجال النهضات الاجتماعية البصيرة يحملون عبء النهضة الادبية مع ذلك العبء السياسي الثقيل ، لذلك شردوا في البلاد وعذبوا تعذيباً يطول بسطه ..

وقد كان من ابرز رجالات النهضة الادبية في ذلك الماضي القريب البحاثة المدقق محمد السنوسي الذي بقي اكثر آثاره واغزرها مخطوطاً وفيه روائع الادب التونسي القديم والحديث حتى عصره، ومنهم الشاعر الفحل محمود قابادو الذي سجل اكثر مراحل النهضة في شعره الرائع، ومنهم الشاعر الناثر المؤرخ احمد ابن ابي ضياف الذي كتب اعمق ما يمثل النهضة في عصره وادق ما يصح ان يقال عن الحركات السياسية والاجتماعية .

هذا ما كان في الماضي القريب . اما البعيد فان النهضة الأدبية بتونس كانت بارزة ظاهرة للعيان تفيض على المشرق والمغرب مالا يسعني الاطالة بذكره. ولو قد ذكرنا ان من اعلام التونسيين ابن خلدون لهزئ الجميع منا لان ابن خلدون لم يبق رجل تونس وحدها . ولو قد ذكرنا الحصري صاحب زهر الادب اوسميه الضرير صاحب المعترات و (ياليل الصب) او ابن رشيق صاحب العمدة او ابن منظور صاحب لسان العرب او ابن ناجي صاحب معالم الايمان .. او امثال هؤلاء الذين لم يزل الجهل ببعض جوانبهم يعشش في نفوس اكثر قراء العربية لطالبتي نفسي – قبل الآخرين – ان اعرف بهم فضل تعريف واني لي ذلك والمقام محدود ؟! ..

اما في الحاضر التونسي، فان النهضة الأدبية تسير بخطى وانيه بعض الشيء وما احسب ان هذا الونى يعود الى شيء قبل مستوى الثقافة في البلاد والتطورات السياسية التي جرت فيها وتجري وهما السببان الأخيران اللذان ارتبطت النهضة الأدبية بهما الى حد بعيد .

وفي مجال النهضة الادبية الحاضرة يلمع امامي اول ما يلمع اسم شاب جريء من الشباب المثقف الواعي وهو المرحوم الطاهر الحداد : فهذا الاديب الذي كان يحمل قلماً عالي النفس في النثر وكانت مشاركته موفقة في قرض الشعر، قد توفر له من اسباب البروز ما جعل قوماً يتحركون للرد عليه وقوماً يتحركون لتأييده فكان مشع حركة قلمية تذكر .. وهو اول من كتب كتاباً كاملا عن الحركة العمالية وكان ذلك سنة ١٩٢٧ تسجيلا لما بلغه الوعي الشعبي التونسي في تلك الفترة اذ اسس حركة عمالية بزعامة الدكتور محمد علي، والف الحداد كتاب (العمال التونسيون) ثم تهيأ له بعد ذلك ان يؤلف كتاباً آخر احدث رجة عظمى في الاوساط التونسية وسلكه عند اكثرهم في عداد الزنادقة الملحدين، هو كتاب (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) . ويبرز في هذا المجال ايضاً اسم الشابي الشاعر الوجداني الذي ظل مجهولا في الشرق حتى العهد الأخير .

وتطوي المراحل بعد وفاة الشابي فنجد النهضة الادبية تتأثر بالسياسة فهي تقوى عند انطلاق الحريات وظهور الصحف والجمعيات الثقافية والاجتماعية وتضعف عند الحد من تلك الحريات حتى لا نكاد نظفر بأثر يسجل هذه الفترة الحائرة .. فاذا ظهرت وزارات الجبهة الشعبية في فرنسا وابدت من التسامح

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الظاهري في السياسة ما سمح للمسؤولين الفرنسيين في تونس ان يصرحوا باصدار الصحف على نطاق متسع برزت عشرات من الدوريات كان لبعضها اثر اي اثر في تمثيل النهضة الفكرية في البلاد واستتبع هذا الانطلاق ظهور التأليف ظهوراً ما ونهضة ادبية تمثلت في ظهور مجلة (العالم الادبي) و (الجامعة) و (الافكار) .

ثم كانت فترة الحرب العالمية الثانية التي حطت بكلاكلها على البلاد التونسية فكمت الافواه واجدبت القرائح . ولكن ما كادت صفحة الحرب تنطوي حتى ظهرت وجوه جديدة في الميدان واغمدت الاقلام القديمة او كادت .. واذا كانت ظروف الحرب قد امتدت على البلاد امتداد ليل الهول، فان ذلك لم يمنع المنتجين من استغلال الصحف التي كانت تروج لهذا العهد مهما كان مشربها وما يقال عن نزعتها وصلتها بالدخيل كمجلة (الثريا) وجريدة (الاسبوع) ولكن حملة الاقلام- او بعضهم على الأصح - وجدوا فيهما متنفساً فأنتجوا لهما الشيء الكثير .. ومن الحق ان نقول ان الوجوه القديمة ظلت اكثر من الوجوه الجديدة على صفحات الثريا والاسبوع . ولكن سرعان ما قامت الحركة السياسية العارمة التي شن بها (الديوان السياسي) حملته الوطيدة على العادي الفرنسي الدخيل وحينئذ ظهر جيل جديد من حملة الاقلام لم يكن يسعه الاعلان عن نفسه بادئ الأمر ثم وجد في مؤسسات الشباب الثقافية والرياضية ما جعله يبرز للناس مناقشاً لما يسمع على منبر (الجمعية الخلدونية) وجمعية قدماء الصادقية او محاضراً على منابر تلك المؤسسات وكذا جمعية الشبان المسلمين وسائر المنظمات الطالبية . وفي هذه الفترة ظهر محمد العروسي المطوي والحبيب بلخوجة واحمد بن صالح وعبد الله شريط وغير هؤلاء ممن اعتمدت عليهم مدرسة مجلة (المباحث) بادارة الاستاذ محمود المسعدي وجريدتا (الحرية) و (لواء الحرية) بادارة الزعيم الاستاذ علي البلهوان .. واخيراً ظهرت جريدة (الصباح) وكان لها حظ في انعاش النهضة بصفحتها الادبية الاسبوعية (صفحة الثقافة والادب)

وهنا يعود الينا الاستاذ محجوب بن ميلاد كاتباً باحثاً واديباً مفكراً وظهرت مجلة (الندوة) فبرز على صفحاتها بعض من سبق ذكرهم كما برز الاستاذ الشاذلي القليبي ومحمد مزالي وعامر غديره وظهرت مجلة (الفكر) فظهر على صفحاتها آخرون مثل الاساتذة الطاهر قيقة ومحمد الطالبي ومحسن بن حميده والهادي حمو .. وان لم يكن جلهم منقطعاً عن الحركة في الماضي .

على ان من العقوق ان ننسى رجلا من ابرز رجالات النهضة الحاضرة او انشطها بنيها هو الاستاذ ابو القاسم محمد كرو فقد عرف بلاده عندما كان في الشرق طالباً في العراق او استاذاً في ليبيا وعرف بها بعد ان عاد الى وطنه الحبيب فساهم في حركة النشر والتأليف اذ كتب في اكثر صحف البلاد وزاد واسس مشروعاً لعله الاول من نوعه سلسلة (كتاب البعث) الشهرية فضرب بذلك بأقصد سهم في النشاط الثقافي ..

وهناك الى جانب هؤلاء جيل ناشيء من الادباء فيه من العناصر الموفقة كثير ومن المع هؤلاء محمد العربي صمادح صاحب ديوان (أفق) ولو أن هذا الديوان لا يمثله في نظري ومنهم اخوه منور صمادح صاحب ديوان (فجر الحياة) ومصطفى البحري صاحب (ثورة العبيد) . والمنتجون في هذه الفترة كثيرون بعضهم يزود الصفحات الادبية في الصحف كجريدة (العمل) وبعضهم يندفع الى الانتاج الخارجي او الداخلي في غير ريث او تبصر

س - ما هو نصيب الادب ورجاله من حركة المقاومة الوطنية ؟

ج - ان كان المقصود يهدف الى مدى مساهمة الادباء في حركة الكفاح العملية فالجواب سالب، فلست اعتقد ان للادب ورجاله نصيباً يذكر في حركة الكفاح الوطني ففيما عدا بعض العاملين في الحقل السياسي وهم من الشبان الذين ناالهم السجن والتعذيب ولهم كفاءات أدبية او بعض رجالات الصحافة الذين يمارسون الانتاج القلمي العادي كالعبيدي والشطي فيما عدا هؤلاء واولئك لا نكاد نظفر بأثر ادبي ذي بال يصح ان نزعم انه مساهمة في الكفاح ولو ان بعض الادباء قد ساهموا باموالهم في تلك الحركة القومية .

اما ان كان المقصود يهدف الى التعريف بمدى ما أعان عليه الأدب في مجال بث الوعي قبل المعركة او تسجيل مراحل المعركة نجد للادباء مساهمة لا تخلو من نقص ومراوغة .. ولكنها موجودة على كل حال .. وفي الحق ان ابرز ادبائنا في هذا الحقل هو امير شعراء الخضراء المرحوم الشاذلي خزنه دار فان شعره سجل واف للحركة الوطنية . فقد كان يوقظ الهمم بمثل قوله :

الحر من لا يستكين لمرهق ... فعليك خصمك مم - ويحك - تتقي
واصدع بحقك في الاباة ولا تقل ... (ان البلاء موكل بالمنطق)
والام تستجدي وحقك بين ؟ ... شلت يد تمتد للمتصدق

حتى اذا اعتدى بعض المستعمرين على بعض المواطنين سجل ذلك في مثل قوله :

في الجد او في اللعب ... ارواحنا في نهب
من حادث لحادث ... مستنكر مستغرب
حتى متى والتونسي ... مستهدف للكرب ؟
لم يخل يوم واحد ... من باعث للعجب

ومن ابرز ادباء الوعي الشاعر الرقيق الهادئ المدني والشاعر الجريء المرحوم سعيد ابو بكر . فقد نجد للمدني قوله في مخمس طويل الذيل يناجي فيه ربه :

تحت جنح الظلام والليل باد ... والهزار الأغن في الدوح شاد
ونسيم بين الربى متهاد ... قمت ادعو من فوق احدى النجاد
رب حرر بين الشعوب بلادي

وله في قصيد وطني آخر قوله :

هيا فتى الوطن العزيز ، الاستعد ... الا انهض فلات حين سهاد
حتى يحق بان تصيح منادياً ... (الارض ارضي ، والبلاد بلادي)

اما سعيد ابو بكر فقد كان ايضاً مولعاً بتسجيل الاحداث باسلوبه الساخر اللاذع وعلى ضوء نزعته الانسانية :

جمعية الرفق بالسنور والديك ... ماذا عن الرفق بالانسان يلهيك ؟

ونجد في هذه الفترة من الحياة التونسية كثيرين ممن عملوا لبث الوعي اكثر مما عملوا لتسجيل سير الحركة وهؤلاء منهم من لقي حتفه ومنهم من ينتظر ولكن بعضهم قد بدلوا تبديلا فاذا منهم يستحثون المواطنين ايام الحرب العالمية الثانية لمد ايديهم الى اخوانهم .. اجل اخوانهم .. الفرنسيين كما قالوا في قصائد (الاغاثة الوطنية) التي دعي اليها التونسيون ايام حكم الماريشال بيتان في فرنسا، ولو ان الدوافع كانت انسانية لاتجهت الدعوة او تتجه الى اغاثة ابناء البلاد الجياع العراة المضطهدين ولكنها كانت دوافع اخرى لعل بعضهم

النشاط الثقافي في الوطن العربي

اضطراري .. واذا الشعر .. يرسل مثل هذا القول :

جاء الشتاء بفرط القر ملآنا واقبل البرد اصنافاً والوانا
وفي فرنسا ناس من حصائلهم ونبلهم اصبح التاريخ مزدانا
في حاجة لمعونات يقدمها جميعنا لهم آنا يلي آنا (١)

هذا ما كان من جيل الماضي، فما ان مضت تلك الايام حتى استتر اكثر شعرائه وكتابه .. خجلا.. او رجاة ان ينسى الناس بعض ما سجلوا في ادبهم من مخازي العهد الذي انصرم غير مأسوف عليه .. ولكن قليلا منهم عاد في هذه الايام الى الظهور ، لانها ايام الرخاء .. ومن العجيب انه عاد اقوى وطنية .. واشد حرقة لتسجيل العواطف الشعبية من الوطنيين انفسهم !

والى جانب هؤلاء جيل من الادباء المحدثين عاشوا واقع البلاد وسجلوه. واذا كنا نعد أبا القاسم الشابي منهم فلانه لم يدع لنا مجالا الى عده مع الآخرين، لانه كان شاباً طيلة حياته، ولان شعره احتفظ بجدته وشبابه. وقد اشتهر على السن الناس ادباء وقادة قوله :

اذا الشعب يوماً اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر
ولابد للظلم ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر

ونجد من المتأخرين مصورين بارعين للواقع التونسي الأليم كالشاعر محمد العروسي المطوي في قصيدة (عيد السجين) التي قالها لما حل عيد الفطر واتون الثورة الوطنية ملتهب والقمع الفرنسي بالغ اشده .. فماذا تكون عواطف الفتى الذي غيبت السجون اباه وهو ينظر الى ابناء الآخرين يرفلون في حلل الزينة ؟

أبي ..
هل تعود
ويزغ في البيت فجر السعود
فقد طال منا انتظار الصباح
وعود البشير بجني الكفاح
وعهد الخلاص
فحتام نبقى – وانت البعيد –
قلوب حيارى وشمل بديد
وكان الخطاب :
(بني ترقب ، وخل الضجر
فعما قريب يجيب القدر
وتحلو الحياة
وآتي اليكم بعيد الخلود
فصبراً بني . قريباً اعود)

ونجد بين ادبائنا المعاصرين شاباً يعنى اتم عناية بتسجيل الاحداث هو منور صمادح فقد اخرج لنا قصيداً مطولا بعنوان (الفردوس المغتصب) صور فيه تونس في واقعها واخرج ديوان (فجر الحياة) واكثر قصائده مساهمة في الحياة التونسية الجارية واخرج كتيباً يحمل عنوان (حرب على الجوع) عنوانه دليل موضوعه ومن قصيدة نشرها فيه بعنوان (الثورة)

كم شعوب عبث الظلم بهـا واستجد العزم فيها واستعر
وانبرى من نشئها مستنهض ينثر الاقوال من فيه شرر
فاذا الذلة عنه باذخ واذا الظالم مغبر الأثر
لاتقل هذا ظلوم ظافر فغدا تصبح انت المنتصر

ولسنا نذكر الكثير مما انتج محمد المرزوقي او مصطفى خريف او علي بن هادية او غيرهم . ولكن لابد لنا من ذكر ما انتج الشاعر الملهم الاستاذ احمد اللغماني في خاتمة قصيدة (الغد) قال :

انا للخضراء ما عشت وللخضراء دمائي
قد نكرت الذات ما احقر عيشي وفنائي
ما انا ؟ ماذا ارجي ؟ ما قنوطي ما رجائي
قد نكرت الذات ما ذاتي الا محض وهم
ما أنا ؟ لست كياناً ! لست الا بعض قومي

ويذكرني طالع هذا القصيد بنشيد لشاعرنا الفحل الطاهر القصار

أنا للخضراء وللخضراء دمي وبها يهتف روحي ودمي
كلما لاح هلال العلم قلت : يا تونس ! دومي واسلمي

على هذا النحو كانت مساهمة الادب – الشعر الخاصة – في حركة الكفاح الوطني. على اننا اهملنا هنا الادب الشعري الحق..الادب الشعبي المخصب الذي لم نعتد الحديث عنه في مثل هذه المواطن مع ماله من مقام

س – ما هو مستقبل الادب التونسي في رعاية الاستقلال ؟

ج – يبدو ان هذا السؤال سابق عن اوانه كما يقول السياسيون ولعل صلة هذا السؤال بالواقع السياسي له ضلع في استحقاق هذا الجواب . ذلك ان السؤال ينتظر مني ان اتكهن بمستقبل الادب في رعاية الاستقلال وعهده اليوم ما يزال يركز القدم في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع. اما الادب فما زلنا ننظر اليه كمادة كمالية هي آخر ما ينظر اليه ويعنى به . ومع ذلك لقي الادب في عهد الاستقلال عناية تذكر .

لقد كان من ابرز ما تمخض عنه عهد الاستقلال في تونس انشاء نواة للجيش التونسي واندفع بعض الشعراء، شعراء المناسبات قبل سواهم، .. الى اعداد قصائد عادوا بها الى الميدان بعد انقطاع طال امده .. وأنشدوا هذه القصائد في حضرة زعيم الأمة ورئيس وزارتها الاستاذ الحبيب بورقيبة فكان جوابه عما سمع : (اني لمسرور بمساهمة الشعر في تسجيل هذه الظاهرة الجديدة من مظاهر استقلال البلاد واني لأعد الادباء بأن الحكومة ستهتم بالادب في جملة ما تهتم به من شؤون البلاد .. لأن الادب مظهر لحياة الأمة لا يصح اغفاله)

لكن ما صنع الادباء ليجعلوا من هذا التصريح حقيقة واقعية ؟هل اعدوا مناهج لاحياء التراث التونسي او تقييم الانتاج ؟ .

كلا مع الاسف ولكن الامل ما يزال معقوداً لتلافي الأمر والعذر قد يكون قائما لأن التصريح حديث عهد .

وظاهرة اخرى تشير الى عناية ما من العهد الجديد بالآداب هي اعلان وزارتنا للمعارف عن مسابقة لاختيار نشيد وطني قومي . وقد رصدت لهذا الغرض جائزة مالية وعممت حق المشاركة فيها من بين سائر الشعراء العرب .

الى هنا تنتهي وسائل التشجيع الادبية منها والمادية . ولكن الادب لن يعيش للتشجيع فحسب فانه لو اقتصر على ذلك لتقلص ظله وقصرت ايامه وانعدم او كاد . فهل تبدو على الادباء اعراض تبشر بمستقبل باهر زاهر ؟

(١) هذه الابيات للشاعر غير المأسوف على وفاته محمود بورقيبة !

النشاط الثقافي في الوطن العربي

السودان

مستقبل الشعر في السودان

في السودان اليوم نوعان من الشعر .. نوع يصنعه سكان الحواضر والمدن ، من هذا اللفيف المتعلم الذي يحسن الكتابة ويجيد القراءة .. ونوع ينشئه سكان البوادي والريف ، اولئك الذين تنطلق السنتهم على البديهة بمكنونات الوجدان وما تجيش به الصدور والنفوس في غير ما تكلف صناعة او افتعال .

فالنوع الاول قيدت المطبعة كثيراً من حريته في التأثير، لأن شعره مكتوب يقرأ بينما ظل النوع الثاني يتمتع بكامل حريته لأنه فقد المطبعة ولم يمارس الكتابة وانما اخذ في انشاء انتاجه من الشعر على مستمعيه بلغته العادية التي يستعملها في حياته اليومية .. ومن هذا الانشاء كان ولا يزال يستمد شاعر البادية او الريف الوحي والالهام .

اما شاعر المدينة فواقع تحت تأثير عوامل كثيرة مختلفة منها الاجتماعي ومنها الاقتصادي ومنها السياسي والثقافي ايضاً .. وهذه العوامل كلها تفصله بعنف عن قرائه فتبعده عنهم لانهم قد يشاركونه نفس العوامل والمؤثرات التي خضع لها حينما كان ينظم شعره .وعليه فبقدر ما عجزت المطبعة عن احكام الصلة بين شاعر المدينة ومجتمعه عجزت الأمية عن ان تفصل شاعر البادية من قطيعه .

ومهما تكن الفوارق بين شعر البادية وشعر الحواضر فكلاهما يتفجران من ينبوع واحد وهو الخيال .. تلك الدنيا السحرية التي يرتفع اليها الشاعر بعد ان يهجر دنيا الواقع الصارم فينتقل الى دنيا من الاماني والامال تختفي فيها المرئيات كادوات جامدة بينما تظل مضموناتها مطبوعة في أعماق النفس والحس والوجدان .

في هذه الدنيا السحرية يتجرد الشاعر من فرديته وينفصل تماماً عن شخصيته فيعيش لحظات تحت أسر الاحساس الباطني الذي يستوي فيه شاعر المدينة وشاعر الريف .. لأن الانسان حينما يحلم يبتعد عن دنيا الواقع الصارم ليقترب من دنيا اخرى جديدة تنعدم فيها الفوارق الاجتماعية التي نشاهدها في دنيا الحياة الواعية

وما دامت الدنيا الجديدة التي يلجأ اليها الشاعر اقل فردية من دنيا الحياة الواعية فان الانتاج الذي يضمنه تجاربه واختباراته وطموحه ويصور فيه اتجاهاته وأمانيه واهدافه لابد ان يجد استجابة عامة تهز اوتار القلوب .. وبقدر ما للشاعر من قدرة فنية على التعبير والتصوير وموهبة بيانيه في الدقة والترشيح بقدر ما يجذب اليه القراء والمستمعين فيعيشون معه لحظات في تلك الدنيا الساحرة .

غير ان القراءة كثيراً ما تشوه من سحر هذه الدنيا الجديدة فان القارئ حينما يقرأ قصيدة مكتوبة قد يعجب بها ويهتز لها ، ولكنه يظل مسيطراً على ارادته فلا ينجرف بتيارها ، ولئن فعل وانجرف فما هي الا لحظات يردد فيها ما قرأ فاعجب به .. اما في البادية حيث يستمد الشاعر وحيه والهامه من مستمعيه لانه لا يكتب وانما ينشد ولا يقرأ وانما يرتجل ، فهو لا يلبث ان يرد كل ذلك الى مستمعيه ولهذا يستجيبون له ويتفاعلون معه .ومن جهة أخرى بينما كان شاعر المدينة يعيش في مجتمع بالرغم من انه سيطر على كثير من قوى الطبيعة الا انه انقسم على نفسه فتعقدت علاقاته الاجتماعية ، عاش شاعر البادية بين كتيبته يقاسمها تلك الحياة البدائية البسيطة غير المنعقدة ولا المتناقضة ، عاش في جبهة مع كتيبة بالرغم من ضعفها بالنسبة لمجتمع المدينة وامام قوى الطبيعة الا انها جبهة متحدة ضد جميع هذه القوى .. فهو اذن لا يعمل او ينتج وحده وانما يشترك معه في عملية الانتاج سامعوه .. ولعل هذا هو السبب لانطباع شعر الريف بطابع الجماعية لصدوره عن المجتمع كله ورجوعه اليه كله ايضاً بينما ظل طابع شعر الحواضر والمدن طبقياً لأن منشأه انقسام المجتمع وتفاوت طبقاته اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً وبذا يختلف عمق الاحساس في نفس الشاعر ونفوس قرائه حتى المعجبين به منهم .

اما الشاعر في المدينة فهيهات له ان يبلغ هذه المرتبة من التأثير الا اذا بلغ درجة من الوعي العميق تتكشف عندها مخزونات الاحاسيس التي تموج بهـا نفوس الملايين .. فالوعي وحده هو الذي يعين شاعر المدينة على تفهم اتجاهات المجتمع المصطرع الذي يعيش فيه .. ولما كان الوعي عبارة عن انعكاسات العقل في تصوراته اللانهائية كذلك كان هذا الوعي نفسه هو الاداة السحرية التي يستمد منها الشاعر الوحي والالهام .. وكلما انتشر هذا الوعي بين جماهير القراء وتعمق كلما تفتحت نفوسهم المغلقة لقبول تعاليم الشاعر ومثله العليا واتجاهاته .

صـــدر اليوم

عدد تشرين الثاني (نوفمبر) من مجلة

« العلوم »

عدد زاخر بالدراسات القيمة تقرأ فيه : دولية المشكلات العربية لمحرر «العلوم» العلمسياسي — نحو ميسّر وكتابة ميسرة للدكتور طه حسين — اللغة العربية ومجمع القاهرة للدكتور منصور فهمي — وسائل النهوض باللغة وتيسير قواعدها وكتابتها للدكتور مصطفى جواد — مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية للاستاذ احمد حسن الزيات — الاصطلاحات الفلسفية للدكتور جميل صليبا — أثر اللغة في وحدة الامة للدكتور منير العجلاني — أثمن ما عرف الانسان للاستاذ مصطفى الصولي — سفارة أوتون الاول الى عبد الرحمن الناصر للدكتور صلاح الدين المنجد — لا ، ان تزايد السكان ليس مشكلة للدكتور جورج حنا — روح الاسلام للاستاذ محمود زايد — انطباعات حول المؤتمر الدولي الثامن للدكتور محمد يحيى الهاشمي — الرياضيات والموسيقى للاستاذ هنري مارتن — المصل الفيزيولوجي للدكتور موفق المالكي — حقائق عن اللوكيميا للدكتور صبري القباني — مجلة المجلات العلمية — كل ما في الطب من جديد — مع العلم والحضارة الخ ..

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ومهما يكن من شيء فان الوعي الملاحظ نموه وانتشاره اليوم بين سكان المدن السودانية هو الذي انتج شعراء مجيدين استحقوا التقدير كالشاعر جعفر حامد البشير فلنستمع اليه حين يقول :

اخي يا اخي لن نيأسا
اذا ما الزمان علينا قسا
فكفكف دموعك واعمل معي
فلا نفع يا صاح للأدمع
فناضل وسر يا اخي واسرع
لنسكت فرقعة المدفع

اخي يا اخي لا تمل العمل
وناضل أخي وابتسم للامل
وكن يا اخي بغد مؤمناً
سنخرجهم في غد من هنا
فيوم علينا ويوم لنا
ولكن سنبقى هنا وحدنا

*

اخي فلنكافح يداً في يد
رباط كريماً اخي سرمدى
رباط الكفاح رباط الهدى
يد صافحت في حلال يدا
وليل توارى وفجر بدا
وزهر ترقرق فيه الندا

هذه الحيوية التي تنبض بها هذه الابيات القليلة وهذه العاطفة الواعيةالتي تنبعث من خلال العبارات قوية رائعة وهذا الاحساس العميق الذي تفيض به بتعاليم الشاعر فتكشف عن دقة معرفة الشاعر بحاجيات المجتمع الذي يعيش فيه ، كل اولئك هي رؤوس الخيوط المجتمعة التي تقودنا الى ان الشعر في السودان بدأ يدخل في عهد جديد وينتظره مستقبل زاهر فسيح .. فبعد ان كان الشعر عندنا يغلب عليه الجانب الوجداني الفردي كشعر النسيب والغزل بدأ اليوم يفتق آفاقاً جديدة تتجمع فيها الملايين وترتبط .. وبعدان كان الشعر يفيض بالبكاء والدموع والرياء كشعر المراثي والمدح الذي ملت الانسانية سماعه بدأ اليوم ينشيء مجتمعاً جديداً ينعدم فيه اليأس وتجف فيه الدموع فتهرع الملايين الى البناء والتعمير مدفوعة بدافع الامل المقرون بالعمل .. وبعد ان كان الشعر يفرق بين الكتل حيث يثير في النفوس الضغائن والاحن والاحقاد كشعر الفخر والحماسة اخذ اليوم ينتظم جميع الايادي في رباط موحدصلب هو رباط الكفاح الذي يعمق في النفوس عواطف الاخاء ويوحد من ارادتها .

الخرطوم

حامد احمد حمداي

محلات سركيس بوشكجيان

تعرض باسعار متهاودة اجمل وافخر تشكيلة من ساعات

باتيك فيليب و اوميغا

مشغل حديث لتصليح الساعات ، وآلة – هي الاولى من نوعها – لبضط الساعة على الثانية

شارع رياض الصلح تلفون ٣٥٥٤١

باب ادريس تلفون ٣٢٩٢٢

LA MAISON SARKIS BUCHAKJIAN

Vons Présente la Plus riche Collection de montre

PATEK PHILIPPE ET OMEGA

Bab Edris
Tel 23922

Rue Riad SolH
Tel 35541